كتاب
فضائل قريش

كتاب فضائل قريش

أخبرنا الشافعي، حدثنا ابن أبى فديك، عن ابن أبى ذئب، عن ابن شهاب؛ أنه بلغه أن رسول الله ﷺ قال: « قدموا قريشاً ولا تقدموها، وتعلموا منها ولا تعالموها أو تعلموها ».

هذا الحديث وما أشبهه من الأحاديث أملاها الشافعى - رحمة الله عليه - فى الجديد فى فضائل قريش والأنصار وغيرهم، وقصده من ذلك ترجيح معرفتهم بالسنن على معرفة غيرهم.

قوله: « قدموا قريشاً » : يستدل بهذا الحديث من لا يرى الإمامة إلا فى قريش، وهو صريح فى ذلك أو قريب من الصريح. وقوله: « ولا تقدموها» فحذف التاء الواحدة وهى تاء التفعل لاتاء المضارعة. وقوله: «ولا تعالموها» مفاعلة من العلم أى لا تغالبوها بالعلم، ولا تكاثروها فيه وفى الرواية الأخرى: «فلا تعلموها» لأن التعليم إنما يكون من الأعلى للأدنى، ومن الأعلم لمن ليس بأعلم فنهاهم أن يجعلوا قريشاً فى مقام التعليم أو فى مقام المغالبة بالعلم، وهذا/ القول وإن كان عاماً فى الأمر بتقديمهم ٢١٦/ب والتعلم منهم وفى النهى عنه التقدم عليهم والتعليم لهم، فإنه خاص فى الإمامة وصرفه إليها أخص وأولى بالإجماع، لأنه لا يجوز أن يلى الإمامة إلا قريش وإذا كان هذا المنصب خاصاً بهم دون الناس فما الظن بغيره من المناصب والمراتب، وقريش: هو النضر بن كنانة وقيل: هو فهر بن مالك بن النضر، فكل من هو من ولد هذا أو ذا فهو قرشى، ويريد بقريش فى الحديث: القبيلة وإنما صرف لأنه نظر إلى الاسم أو الحى فزال عنه التأنيث فانصرف.

وأخبرنا الشافعى، أخبرنا ابن أبى فديك، عن ابن أبى ذئب، عن حكيم بن أبى حكيم، أنه سمع عمر بن عبد العزيز وابن شهاب يقولان: قال رسول الله ﷺ: « **من أهان قريشاً أهانه الله عز وجل**».

هذا الحديث هكذا أخرجه الشافعى مرسلاً، وقد أخرجه الترمذى مسنداً[1]، عن أحمد بن الحسن، عن سليمان بن داود الهاشمى، عن إبراهيم بن سعد، عن صالح بن كيسان، عن الزهرى، عن محمد بن أبى سفيان، عن يوسف بن الحكم، عن محمد بن سعد، عن سعد ابن أبى وقاص قال: قال رسول الله ﷺ: « **من يرد هوان قريش أهانه**

(١) الترمذى فى المناقب، ب فضل الأنصار وقريش(٥ ٣٩٠) وقال: حسن غريب.

الله». قال الترمذى: وأخبرنا عبد بن حميد عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد عن أبيه عن صالح بن كيسان عن ابن شهاب بهذا الإسناد ونحو رواية الشافعى : من أهان قريشاً: أى من أحل بها هواناً جزاه الله عليه مثله، وقابل هوانه بهوان ولكن هوان الله أشد وأعظم. ورواية الترمذى: «من يرد هوان قريش أهانه الله» فهذا أعظم لأنه جعل هوان الله لمن أراد هوانها، فهذا وإن كان اللفظ يقتضيه ويجوز أن يجعل ذلك خاصاً لقريش، لكن/ حكم الله المطرد فى عدله أنه لا يعاقب على الإرادات، وما تحدثت به الأنفس، ٢١٧/أ إنما يعاقب ويجازى على الأفعال والأقوال الواقعة؛ ولكن ذكر ذلك لمعنيين: أحدهما الزجر والوعيد والتغليظ فى حق قريش، ليكون الانتهاء عن أذاهم أسرع قبولاً واتباعاً. والثانى: أن هذا أجرى على العادة المألوفة فى الخطاب، والاتساع فى اللغة؛ يقول القائل من يعزم على كرامتى أكرمه، ومن يعزم على إهانتى أهنه، ولا يريد أنه يكرمه أو يهينه بمجرد العزم على إكرامه أو إهانته ، إنما يريد أحد أمرين : إما أن يجازى اللفظ بلفظ مثله ، فيكون التقدير من يعزم على كرامتى أعزم على كرامته ، ومن يعزم على إهانتى أعزم على إهانته ، أو على تقدير من يعزم على كرامتى فإنى أكرمه اذا وقع منه ما عزم عليه، ولكن أوسع فى الخطاب بهذا القول المعتاد لفهم المعنى والله أعلم.

وأخبرنا الشافعى، أخبرنا ابن أبى فديك، عن أبى ذئب، عن الحارث بن عبد الرحمن أنه قال: بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: « **لولا أن تبطر قريش لأخبرتها بالذى لها عند الله عز وجل**».

بطر الرجل - بالكسر - يبطر - وبالفتح -: إذا طغى فى النعمة وكفرها وجار فيها، يريد لولا أنها إذا علمت مالها عند الله من الخير والأجر والثواب والنعيم المعد المدخر لها، كانت تبطر وتدع العمل وترتكب مالا يحل لها اتكالاً على مالها عند الله من حسن الجزاء لأعلمتها به، وهذا دليل على علو منزلتها وارتفاع قدرها عند الله، وأن المعد لها شىء كثير لا يمكن الإنسان مع معرفته به إلا أن يطغى ويبطر، وفى إضافة البطر إليها نقص، ولكنه أمر طبيعى قد ركب فى الإنسان وحبب للفطرة الآدمية، فلا يكاد يخلو عنه وإن وجد/ من يقهر نفسه ويكبح هواه ويغلب طبعه فإليه المنتهى قليل ما ٢١٧/ب هم فلا تظن أن ذلك نقص فى حقهم فإنه وصف لا يخلو منه بشر وفقنا الله وإياكم لقهر شيطان الهوى.

وأخبرنا الشافعى أخبرنا ابن أبى فديك، عن ابن أبى ذئب، عن شريك بن عبد الله ابن أبى نمر، عن عطاء ابن يسار أن رسول الله ﷺ قال لقريش: « **أنتم أولى الناس بهذا الأمر ما كنتم مع الحق، إلا أن تعدلوا عنه فتلحون عليه كما تلحى هذه الجريدة يشير إلى**

جريدة فى يده».

هذا الأمر يريد به : الإمانة والإمارة، وهـو إشارة إلى الأمر الذى جاء به ، ثم أنه لما جعلهـم أولى الناس به أتبعه بمـا يتبعـهم من العجب والبطر والتـرفع على الناس ، فقال: «**ما كنتم مع الحق**»، أى: ما لزمتم الحق، ودمتم عليه، إلا أن تنصرفوا وتميلوا إلى غيره من الباطل فـتحلون أنى تفسرون كما تفسر هذه الجـريدة: وهى القطعة من عسيب النخل والعسيب من السعفة: ما بين الكرب ومنبت الخوص، وما يثبت عليه الحوض فهو السعفة، واللحاء ممدوداً القشر الذى يكون العود، وتقول: لحوته ألحوه لحواً ولحيته لحياً.

ووجه التشبيه بهذا المثال : أن الجريدة وغيرها من العيدان إذا أخذ قشرها كان ذلك داعيا إلى يبسـها وجفافها: لأنها مهـما كان قشرها عليها كـان أحفظ لها، وكذلك أنتم معشر قريش تجردون من هذه الفضيلة التى خصصتم بها وكنتم بها أولى من غيركم، إذا عدلتم عن الحق، فـيكون ذلك أدعى إلى ذهاب جاهكم وفضلـكم على الناس: فإنكم ذوى نسب شـريف تميزتم بـه على غيـركم؛ فـإنما يتم لكم ذلك ويسـتمـر بلزوم الحق والوقوف عند حكم العدل/ . ٢١٨/أ

والإنصاف : إتباع الواجب وترك الهوى والميل معه.

وأخبرنل الشافعى ، أخبرنا يحيى بن سليم، عن عبد الله بن عثمان بين خيثم، عن إسماعيل بن عبيد بن رفـاعة الأنصارى، عن أبيه، عن جده رفاعة أن النبى ﷺ نادى: «**أيها الناس إن قريشاً أهل أمانة عن بغاها الغواثر أكبر الله لمنخريه**» يقولها ثلاث مرات .

بغيت لشئ أبغيه : إذا طلبته لك كان الأصل لغيت لك الشئ فحذف اللام وأوصل الفعل ، لأن بغيت لا يتعدى إلا إلى مفـعول واحد، وعلى هذا جاء قوله : «من بغاها العـواثر»: أى بغى لها وطلـب لها، والعـواثر ، جمع عـاثرة أى :خـصلة من شأنهـا العثور: وهو السقوط، والوقوع على الوجـه من عثر عثوراً . وقال الأزهرى: معناه من بغى بها المكائد التى يعثر بـها كالعاثور الذى يجعل فى الأرض فيتعـثر به الإنسان إذا مر به ليلاً، وهو لا يشـعر به، قال: ويقال : وقع فـلان فى عاثور شر، وعافـور شر، إذا وقع فى ورطة لم يحسبها ولا شعر بها.

وقد جاء فى المسند: « أكبه الله» ، وإنما يقال: كبه بغير ألف فإذا أدخل الألف صار الفعل قاصراً بعد أن كان متعدياً، تقـول: كببته فاكب هو وهذا النباء من الأبنيه الشاذة أن قال: أفعلت أنا ففعلت غيرى، ومثله فشعب الريح السحاب فأقشع، وليس شىء من بناء أفـعل مطاوعًـا سـيـبويه يـجعل أكـب من باب أبغض واللام أى دخل الكب، وصـار

ذاكب، وكذلك أقشع السحاب أى دخل فى القشع، ومطاوع كب وقشع انكب وانقشع.

وقوله : « لمنخريه» أى : ألقاه على وجهه ورماه ملتقياً وجه الأرض بمنخريه، وخصص المنخر جارياً على قولهم رغم أنفه/ وأرغم الله أنفه أى ألقاه فى الرغام، وهو التراب وذلك أن الإنسان إذا سقط على وجهه فأول ما يلقى الأرض أنفه. واللام فى «لمنخريه» لام التخصيص: أى أن الكب لهما خاصة دون سائر أعضائه. والمراد كما قلنا أنه من طلب لقريش المكائد نقلها الله إليه وجعلها له وعكس عليه غرضه. ٢١٨/ب

وأخبرنا الشافعى أخبرنا عبد العزيز بن محمد، عن يزيد بن الهاد، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى، أن قتادة بن النعمان [وقع][1] بقريش فكأنه نال منهم فقال رسول الله ﷺ « **مهلاً يا قتادة، لا تشتم قريشاً، فإنك لعلك ترى منها رجلاً أو تأتى منهم رجال تحقر عملك مع أعمالهم وفعلك مع أفعالهم وتغبطهم إذا رأيتهم، لولا أن تطغى قريش لأخبرتها بالذى لها عند الله تعالى**».

قوله : «وقع بقريش» يفسره قوله: نال منهم. وقوله: «لا تشتم قريشاً » ، تقول: وقع فلان فى الناس وقيعة: أى أهانهم، كذلك وقع به، ونال فلان من فلان إذا شتمه واغتابه ونحو ذلك . وقوله : « مهلاً » أى تأن واصبر، وهو ساكن الهاء ويكون للواحد والاثنين والجمع المؤنث يعنى أمهل، فإذا قيل لك: مهلاً قلت لا مهل ولا تقل لا مهلا .

والغبطة: نوع من الحسد، إلا أنه لا يكون متضمناً زوال ما يحسد عليه، إنما تمنى مثله من غير زوال عن صاحبه، وطغى يطغى ويطغو طغياً فإذا جاوز الحد، وكذلك طغى يطغى وقوله: « منها ومنهم » جمع بين الضميرين فالأول: رده إلى لفظ الجماعة من قريش وهى مؤنثة والثانى: رده إلى جماعة الرجال وهم مذكرون.

وأخبرنا الشافعى: أخبرنا مسلم، عن أبى ذئب بإسناد لا أحفظه أن رسول الله ﷺ/ قال لقريش شيئاً من الخير لا أحفظه، وقال: « **شرار قريش خيار شرار الناس**». ٢١٩/أ

فلان خير الناس وشر الناس، ولا يقال أخير ولا أشر إلا فى لغة رديئة وهؤلاء خيار الناس وشرارهم، وهم أخيار وأشرار، وفى هذه الفضيلة التى ذكرها لقريش ما لا يخفى ، لأنه لما علم أن قريشاً مع كثرتها لا تخلو، من الأشرار، كما يكون فى جميع الناس من الخير والشر، وكانت قريش من أشراف القبائل عند الله، جعل شرارها أقل شراً من شرار الناس، ولم يقل أقل شراً وجاء بلفظ الخير فقال: «خيار، وشرار

(١) ما بين المعقوفتين سقط فى المخطوطة واستدركناه من المسند ص ٢٧٩ .

الناس»، وهذا من ألطف أبواب الخطاب وأحسنها.

وأخبرنا الشافعي أخبرنا سفيان، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «**تجدون الناس معادن، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا**».

هذا حديث صحيح متفق عليه أخرجه البخاري ومسلم [1].

فأما البخاري: فأخرجه عن إسحاق بن إبراهيم، عن جرير، عن عمارة، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة وزاد فيه: وتجدون خير الناس في هذا الشأن أشدهم لهم كراهية، وتجدون شر الناس ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه، ويأتي هؤلاء بوجه.

وأما مسلم: فأخرجه، عن قتيبة، عن مغيرة بن عبد الرحمن، عن أبي الزناد وذكر نحو.

المعادن: جمع معدن الشيء: وهو موضعه الذي يوجد فيه ويكثر فيه وقوعه وفقه الرجل يفقه بالضم فيهما: إذا صار فقيها وفقه بالكسر يفقه بالفتح إذا علم.

وقوله: «خيارهم في الجاهلية» خيارهم في الإسلام، وإن كان الحكم عاماً في حق كل الناس / فإن فيه إشارة إلى قريش وأنهم خيار الناس في الجاهليه، وهم خيار ٢١٩/ب
الناس في الإسلام، وأن الخير خير على كل حال كافراً كان أو مسلماً، يدل على ذلك أنه قد جاء في بعض طرق البخاري ومسلم لهذا الحديث «الناس تبع لقريش مسلمهم لمسلمهم وكافرهم لكافرهم»، ثم لما أطلق الحكم في ذلك خصه بقوله «إذا فقهوا»: أي صاروا فقهاء عالمين، وإن وصف العلم هو الذي يتميز منه الإنسان على ضميره وهو الفضيلة العظمى والنعمة الكبرى.

وأخبرنا الشافعي أخبرنا عبد الكريم بن محمد الجرجاني قال: حدثني ابن الغسيل عن رجل سماه عن أنس بن مالك، أن سول الله ﷺ خرج في مرضه فخطب فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «**ألا إن الأنصار قد قضوا الذي عليهم، وبقي الذي عليكم، فأقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم**» قال الجرجاني في حديثه: إن النبي ﷺ قال: «**اللهم اغفر للأنصار ولأبناء أبناء الأنصار**» وقال في حديثه: إن النبي ﷺ حين خرج هش النساء والصبيان من الأنصار، فرق لهم ثم خطب فقال هذه المقالة.

---

(١) البخاري في المناقب (٣٤٩٣)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٢٦/٩٩).

هذا الحديث قد أخرج بعضه البخارى ومسلم والترمذى [١].

فأما البخارى : فأخرجه عن محمد بن يحيى بن أبى على الصائغ المروزى، عن شاذان أخى عبدان،عن أبيه، عن شعبة، عن هشام بن زيد، عن أنس وذكر الحديث إلى قوله عن هشيم.

وأما مسلم : فأخرجه فى حديث ولم يذكر منه إلا اقبلوا من محسنهم واعفوا عن مسيئهم.

وأما الترمذى : فأخرجه مثل مسلم. وأما قوله : فى الدعاء «لأبناء الأنصار» فقد أخرجه البخارى ومسلم والترمذى[٢]قوله/ «قد قضوا الذى عليهم»: يريد ما كانوا بايعوه عليه فى العقبة من النصر والحماية والإيواء والإيمان والوفاء بجميع ما اشترط عليهم عند البيعة وقوله: « وبقى الذى عليكم » من حسن الحداء لهم وإعظام شأنهم وعرفان إحسانهم والوفاء لهم على صنيعهم مثله، ثم فسر ذلك بقوله: اقبلوا من محسنهم إذا أحسن فعلاً وقولاً،وتجاوزوا عن مسيئهم إذا أساء فعلاً وقولاً،وهذه كرامة لهم أن يقبل من محسنهم ويتجاوز عن إساءتهم، وهذا وإن كان عاماً فى التجاوز عن إساءتهم فما هو إلا على سبيل التكرمة والمبالغة فى العفو عنهم،وإلا فالحكم يلزمهم شرعاً وإنما لهم فيما يبدونهم من إساءة لا يتعلق بحق،ومن الإساءة التى ليس فيها حد مشروع مما يدور بين الناس من الأقوال والأفعال الجارى بها عادات المتجاوزين المتعاملين والله أعلم. ٢٢٠/أ

وقوله : « يهش » أى : ارتاح وحق إليه إذا رآه. قال أبو عبيد: يقال للإنسان إذا نظر إلى الشىء فأعجبه واشتهاه فأسرع إليه وفرح به قد يهش إليه.

وأخبرنا الشافعى، أخبرنا عمى محمد بن على بن العباس، عن الحسن بن القاسم الأزرق قال: وقف رسول الله ﷺ على ثنية تبوك فقال: « **ها هنا شام**» وأشار بيده إلى جهة الشام «**ها هنا يمن**» وأشار إلى جهة اليمن.

الثنية : الطريق فى الجبل، وقيل: هى الطريق بين الجبلين، وقيل : هى العقبة فى الجبل، والغرض من هذا الحديث بيان حد الشام واليمن، وقد جعل المدينة من اليمن بقوله: وأشار بيده إلى جهة المدينة، وقال فى جهة الشام ما ها هنا وفى جهة اليمن من

---

(١) البخارى فى مناقب الأنصار (٣٧٩٩) ومسلم فى فضائل الصحابه (٢٥١٠/١٧٦) والترمذى فى المناقب (٣٩٠٧).

(٢) مسلم فى فضائل الصحابة (٢٥٠٦/١٧٢) والترمذى فى المناقب (٣٩٠٩)

ها هنا وبينهما فرق، وذلك أن قوله من ها هنا يفيد ان ابتداء/ اليمين من هذه البقعة ٢٢٠/ب
وقوله ما ها هنا إشارة إلى هذه البقعة من الشام، وإن لم يكن متعرضاً إلى أنها ابتداء الشام أولاً.

وأخبرنا الشافعى ، أخبرنا عبد العزيز بن محمد، عن محمد بن عمرو، وعن أبى سلمة، عن أبى هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: « **لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار، ولو أن الناس سلكوا وادياً أو شعباً لسلكت وادى الأنصار وشعبهم**».

هذا حديث صحيح أخرجه البخارى [١] عن محمد بن بشار، عن غندر، عن محمد بن زياد ،عن أبى هريرة وذكر نحوه.

الهجرة : مفارقة الوطن، والانتقال من أرض إلى أرض للمقام بها، وترك الأولى للثانية وأصل من الهجر ضد الوصل، تقول : هجر هجراً وهجراناً، والهجرة الاسم والهجرة فى الإسلام: هجرة الحبشة وهجرة المدينة والمراد بها فى هذا الحديث هجرة المدينة، وهى التى تخص رسول الله ﷺ وأنه هاجر كما هاجر المسلمون ، وكان منهم فقال: « **لولا أنى هاجرت فصرت من جملة المهاجرين لكنت واحداً من الأنصار**» أى من جملتهم معدوداً فيهم، وهذا وإن كان مسوداً لبيان فضل الأنصار ، فإن فيه بيان فضل المهاجرين عليهم.

وقوله: « ولو أن الناس سلكوا وادياً أو شعباً » الشعب كالوادى، إلا أنه ما كان منه بين جبلين، وقيل هو مسيل الماء فى بطن الأرض له حرفان مشروفان، قد يكون بين سندى جبلين ، وقوله : « لسلكت وادى الأنصار أو شعبهم » ، إظهاراً لموافقتهم ، وميله إليهم، ورغبته فى الانضمام معهم، ومتابعة لهم دون الناس كلهم، وأنه لما قال: « **لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار**» ، ولم يمكن أن يترك المهاجرين أتبع الكلام بسلوكه/ مسلك الأنصار، وموافقته لهم فى ذلك. ٢٢١/أ

وأخبرنا الشافعى، أخبرنا سفيان، عن عمرو ، عن جابر بن عبد الله قال : كنا يوم الحديبية ألفاً وأربع مائة، فقال لنا النبى ﷺ « **أنتم اليوم خير أهل الأرض**» قال جابر: لو كنت أبصر لأريتكم موضع الشجرة.

هذا حديث صحيح متفق عليه أخرجه البخارى ومسلم [٢].

فأما البخارى : فأخرجه عن على ، عن سفيان.

---

(١) البخارى فى مناقب الأنصار (٣٧٧٩)

(٢) البخارى فى المغازى (٤١٥٤)

وأما مسلم : فأخرجه عن سعيد بن عمر، والأشعرى، وسويد بن سعيد وإسحاق ابن إبراهيم، وأحمد بن عبدة، عن ابن عيينة.

ويوم الحديبية : يوم معروف كان فى ستة من الهجرة، توجه النبى ﷺ وأصحابه إلى مكة معتمرين، فصدهم المشركون ، والشجرة المذكورة فى هذا الحديث : شجرة سمر كانت هناك بايع النبى ﷺ أصحابه تحتها علي أن لايفروا، وقيل بايعهم على الموت معه، وهذا من الأحاديث التى تشهد بفضل الصحابة، وخاصة لأهل الحديبية فإنهم أهل بيعة الرضوان بقوله ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح :١٨]

وأخبرنا الشافعى، أخبرنا سفيان ، عن عبد الله بن أبى لبيد، عن ابن سليمان بن يسار، عن أبيه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قام بالجابية خطيباً فقال: إن رسول الله ﷺ قام فينا كمقامى فيكم فقال: « **أكرموا أصحابى ، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يظهر الكذب حتى أن الرجل ليحلف ولا يستحلف ويشهد ولا يستشهد، ألا فمن سره أن يسكن بحبحة الجنة فليلزم الجماعة، فإن الشيطان مع الفذ وهو من الاثنين أبعد، ولا يخلون رجل بامرأة فإن الشيطان ثالثهما، ومن سرته حسنته وسائته/ سيئته فهو مؤمن**». ٢٢١/ب

هذا حديث صحيح أخرجه الشافعى مرسلاً، عن سليمان بن يسار، عن عمر، وسليمان لم يدرك عمراً.

وقد أخرجه الترمذى : مسنداً (١) عن أحمد بن منيع ، عن النضير بن إسماعيل بن رقة ، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر قال: خطبنا بالجابية وذكر الحديث وقال: بحبوحة الجنة، ومن حديثه « عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة» .

قوله: «ثم يظهر الكذب»، ويريد : كثرته وأنه يفشو فى الأرض حتى يظهر لكل أحد من الناس، ثم أنه أكد ذلك بقوله: «حتى أن الرجل ليحلف ولا يستحلف، ويشهد ولا يستشهد»، وهذا دأب من يكثر القول ويتكلم بما لا يصدق، فيقصد افتراءه بالحلف من غير أن يستحلف على صحة قوله، ويشهد بالشيء تبرعاً من غير أن يستشهد فيقف نفسه فى نطاق التهم وبحبوحة الدار بضم الباء وسطها، ووسط كل شيء خياره ، والفذ والفد الواحد المنفرد من كل شيء وقوله : «فإن الشيطان مع الفذ »أى من شأنه أن يصاحب الواحد، وقوله: وهو من الاثنين أبعد لأن الشيطان إذا خلا بالإنسان تمكن من وسوسته وإيقاعه فى الفتنة، لأنه لا شاغل من قبول أباطيله ولا رادع له عن اتباع أضاليله، فإذا كان معه غيره كان أبعد له عنه، ولم يتمكن منه منفرداً،

(١) الترمذى فى الفتن (٢١٦٥) وقال: حسن صحيح.

وقوله: « فليلزم الجماعة » يريد : جماعة المسلمين وأهل التقى والصلاح، والتشبه بهم والاقتداء بأفعالهم، ويجعل ذلك بملازمته إياهم ، ثم علل ذلك بقوله : « فإن الشيطان مع الفذ » ثم لما قرر أن الشيطان مع الاثنين أبعد كان ذلك إعلاماً منه بتجنب الشيطان للإثنين مطلقاً فأتبعه بقوله « ولا يخلون رجل بامرأة فإن الشيطان ثالثهما» / . ٢٢٢/أ

والشافعى أخرج هذا الحديث وقال فى أثناء كلامه : فلم يكن للزوم جماعتهم معنى إلا ما عليه جماعتهم من التحليل والتحريم والطاعة فيهما، فمن قال ما تقول جماعة المسلمين فقد لزم جماعتهم، وإنما يكون الغفلة فى الفرقة.

وأخبرنا الشافعى، أخبرنا سفيان، عن أبى الزنادعن الأعرج، عن أبى هريرة قال: **« أتاكم أهل اليمن هم ألين قلوباً وأرق أفئدة الإيمان يمان والحكمة يمانية»**.

هذا حديث صحيح متفق عليه إلا أن الشافعى أخرجه من هذا الطريق موقوفاً على أبى هريرة. وقد أخرجه البخارى ومسلم والترمذى مرفوعاً [١].

فأما البخارى : فأخرجه، عن محمد بن المثنى عن ابن أبى عدى، عن شعبة، عن الأعمش، عن أبى صالح، عن أبى هريرة، عن النبى ﷺ.

وأما مسلم : فأخرجه مثل البخارى.

وأما الترمذى : فأخرجه عن قتيبة ،عن عبد العزيز بن محمد ، عن محمد بن عمرو، عن أبى سلمة، عن أبى هريرة.

قوله: « ألين قلوباً » وصف لهم بسلامة الفطرة وخلوص النية وصحة الباطن لأن اللين من مدح القلوب كما أن القساوة من ذمها . وكذلك رقة الأفئدة جمع فؤاد من مدحها كما أن غلظها من ذمها والقلوب : هى الأفئدة فى الحقيقة، وإنما الاستعمال قد خصص كلاً منها، بموضع فى الذكر وإن كان فرق بينهما فى الأصل، وقد استعمل الأطباء الفؤاد فى قسم المعدة، وإنما جاز ذلك لأنه مفارق للقلب الذى هو الفؤاد، وانتصب قلوباً وأفئدة على التمييز والتخصيص، ومن عادة المميز أن يكون واحداً مفرداً، تقول: هؤلاء أقوى منكم قلباً، وأحسن وجهاً، وانما جمع ها هنا كما جاء فى / قوله ٢٢٢/ب تعالى ﴿**بالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً**﴾ [الكهف : ١٠٣] ولم يقل عملاً، لأنه لو قال عملاً لجاز أن يتوهم أن كلهم خسروا فى عمل واحد، لا فى أعمال فجمع لإزالة هذا اللبس وهذا مطرد فيما كان من خسة، إلا أن هذا التأويل بالآية أخص، لأنهم يجوز أن يكونوا

---

(١)البخارى فى المغازى (٤٣٨٨) ، ومسلم فى الإيمان (٨٢/ ٩١) ،والترمذى فى المناقب (٣٩٣٥)

كلهم مشتركين فى عمل واحد ولا يكونون مشتركون فى قلب واحد.

وقوله: « الإيمان يمان، والحكمة يمانية » يريد: أن مكة من اليمين وأن أصل الإيمان والحكمة منها يعنى أن النبوة منها نشأت وبها عرفت.

وأخبرنا الشافعى، أخبرنا سفيان، عن أبى الزناد، عن الأعرج، عن أبى هريرة قال: جاء الطفيل بن عمرو الدوسى إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن دوساً قد عصت وأبت فادع الله عليها، فاستقبل رسول الله ﷺ القبلة ورفع يديه فقال الناس: هلكت دوس، فقال: « **اللهم: اهد دوساً وأت بهم** ».

هذا حديث صحيح متفق عليه أخرجه البخارى ومسلم (١).

أما البخارى: فأخرجه، عن سفيان، وعن أبى نعيم، عن الثورى.

وأما مسلم: فأخرجه عن يحيى بن يحيى، عن المغيرة بن عبد الرحمن، عن أبى الزناد.

وقوله: «عصت وأبت» أى امتنعت من الأحكام والدخول فى والطاعة.

وقوله: «هلكت دوس» بلفظ الماضى فإنما يراد به المستقبل، وذلك أن الناس لما رأوا النبى ﷺ قد استقبل القبلة ورفع يديه عقيب قول الطفيل ما قال، وظنوا أنه يدعوا عليهم فقالوا هلكت دوس أى يهلك بدعائه عليهم، لكن لما كان اعتقاد المسلمين فى دعاء النبى ﷺ / وأنه متى دعا على أحد أو لأحد استجيب له صار الهلاك المتوقع بدعائه ٢٢٣/أ
كأنه قد وقع وكان، فلذلك جاؤا به بلفظ الماضى، ثم قال لما قال له الطفيل قد عصت وأبت قال فى الدعاء: «اللهم اهد دوساً وأت بهم»، فدعى لهم بما يخالف العصيان، وهو الهداية والإتيان إليه والدخول فى طاعته.

وأخبرنا الشافعى، أخبرنا الدراوردى، عن محمد بن عمرو، عن أبى سلمة، عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**بينا أنا أنزع على بئر أستقى**» قال الشافعى: يعنى فى النوم، ورؤيا الأنبياء وحى. قال رسول الله ﷺ: «**فجاء ابن قحافة فنزع ذنوباً أو ذنوبين وفيه ضعف والله يغفر له، ثم جاء عمر بن الخطاب فنزع حتى استحال فى يده غرباً فضرب الناس بعطن فلم أر عبقرياً يفرى فرية**».

هذا حديث صحيح متفق عليه أخرجه البخارى ومسلم (٢).

---

(١) البخارى فى المغازى (٤٣٩٢) ومسلم فى فضائل الصحابة (٢٥٢٤/١٩٧)

(٢) البخارى فى التعبير (٧٠٢١) ومسلم فى فضائل الصحابة (٢٣٩٢/١٧).

فأما البخـارى : فأخرجه، عن سعيد بن عقـير، عن الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب، عن سعيد، عن أبى هريرة.

وأما مسلم : فأخرجـه عن حرملة، عن ابن وهب، عن يونس، عن ابن شهاب، عن ابن المسيب، عن أبى هريرة.

نزعت الدلو من البئـر أنزعها : إذا استـيقيتـها وأصله من نزعت الشىء عن مكانه وقد فسره فى لفظ الخبر فقال: «بـينا أنا أنزع على بئر أستقى» فأبدل استقى من أنزع لأنه مفسرة لها، وهى المراد ولما أطلق الكلام فى هذه الرواية ولم يقل بينا أنا نائم، كما جاء فى رواية البخاوى ومـسلم ، قال الشافعى: يعنى فى النوم حـتى بين أنه كان نائماً أتبع ذلك بقوله: ورؤيا الأنبـياء وحي ليتبين أن هذا وإن كـان رؤيا نوم فإنها / فى التحـقيق ٢٢٣/ب كاليقظة، لأن رؤيا الأنبياء وحى.

والذنوب: الدلو إذا كـانت مملوءةً ولا يقـال لها وهى فـارغـة ذنوب، وهى تؤنث وتذكر. وقوله: « وفيه ضعف» أى: فى استقائه، ثم أن النبى ﷺ دعى له واستغفر فقال «والله يغفر له»: يعنى والله أعلم لما قال وفيـه ضعف، ربما أوهم هذا اللفظ تصورا فيه ووضعا من حقه، فقال: والله يغفر له: أى لا يضره ضعفه عن الاستسقاء.

واستحال الشىء إلى الشىء: أى انقلب إليه أى تغير عما كان عليه والغرب: الدلو العظيمة يريد أنها كانت ذنوباً فـصارت غرباً، فإن الغرب أعظم من الذنوب . والعطن: الموضع الذى تناخ فـيـه الإبل عند المـاء، إذا رويت يقـال: عطنت الإبل فـهى عـاطنة وعواطن ، إذا شربت فبركت عند الحوطر لتـعاد إلى الشرب مرة أخرى، والمراد بقوله: «حتى ضرب الناس بعطن» أى حتى رووا إياهم فأبركوها وضربوا لها عطناً.

والعبقرى: الرجل الشديد وفلان عبقرى القوم أى سيدهم وكبيرهم قوله يفرى فرية يريد عمل عـملة فرى يفرى إذا قـطع تقول العرب فـلان يفرى الفرى إذا عـمل العمل وأجاده.

وهذا الحديث أريه رسول الله ﷺ مثلا لخلافة أبى بكر وعمر، وأن أبا بكر قصرت مدة خلافتـه، ولم يفرغ من قتال أهل الردة لافتتاح الأمـصار إلا قليلا، حتى أنه توفى والمسلمون يحـاصرون دمشق، . وأن عمـر طالت مدة خلافتـه حتى تيسرت له الـفتوح وأفاء الله عليه الغنائم وكنوز الأكاسرة، فشبه الرى وضرب العطن بذلك والله أعلم.

وقد أخرج / الشافعى قال: سمعت عبد الوهاب يحدث عن يحيى بن سعيد، عن ٢٢٤/أ محمد بن إبراهيم التيمى أن رسول الله ﷺ قدم عليه ثمر وشعير من بعض القرى، وأن

أسيد بن حضير قال له أهل تيس من بنى ظفرًا اذكر حاجتنا لرسول الله ﷺ وأن أسيد ابن حضير أتى النبى ﷺ فوجد معه قوماً، وأنه حنى عليه فذكر له حاجة أهل قيس من بنى ظفر وأن رسول الله ﷺ قال لكل أهل بيت وسق من تمر وسطر من شعير، فقال أسيد: يا رسول الله جزاك الله عنا خيراً. قال يحيى: فزعم محمد بن إبراهيم أن رسول الله ﷺ قال: «**وأنتم فجزاكم الله خيراً يا معشر الأنصار، فإنكم أعف وأصبر وإنكم سترون بعدى أثرة فى الأمر فاصبروا حتى تلقونى**» (١).

وأخرج الشافعى قال: حدثنى بعض أهل العلم أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال: ما وجدت لنا ولهذا الحى من الأنصار مثلاً إلا ما قال الطفيل:

أبوا أن يملونا ولو أن أمنا تلاقى الذى يلقون فينا لملت

هم خلطونا بالغقبوس وألجأوا إلى حجرات أدوات وأظلت

قال الربيع وسمعت الشافعى يروى هذا على أثرها.

جزاك الله عنا جعفراً حين أزلفت بنا نعلنا فى الواصيبه فزلت

وأخرج الشافعى، أخبرنا سفيان بن عيينة، عن ابن جريج، عن أبى الزبير، عن أبى صالح، عن أبى هريرة لا أعلمه إلا عن رسول الله ﷺ قال: «**يوشك الناس أن يضربوا إباط الإبل فى طلب العلم ولا يجدون عالماً أعلم من عالم المدينة**»/ وفى رواية أكباد الإبل قال عبد الرازق بن همام فى تفسير هذا الحديث: هو مالك وقال سفيان بن عيينة يرونه مالك بن أنس قال ذلك الترمذى فى كتابه (الجامع) والله أعلم. ٢٢٤/ب

* * *

(١)البخارى بمعناه فى مناقب الأنصار (٣٧٩٢).